أسماء القرآن

المراجع : الاتقان للسيوطى ، دائرة المعارف البريطانية ، المفردات للراغب الأصفهانى ، تفسير الطبرى : المقدمة .

طريقة العرض : منزلة القرآن من الأدب الاسلامى ، رأى صاحب كتاب البرهان فى أسماء القرآن ، رأى الطبرى فى هذا الموضوع ، آراء العلماء فى أصل لفظة القرآن ثم الفرقان ثم الكتاب ثم الذكر ، تفضيل رأى الطبرى ، لفظة المصحف ومنشؤها ، القرآن اسم جديد على العرب .

القرآن الكريم دستور الاسلام ، وسفر أدبى جليل أعجز العرب فلم يستطيعوا أن يأتوا بسورة مثله على علو كعبهم فى فنون القول ، وألان قلوبهم ، وأقنع عقولهم ، وهذب نفوسهم ، وطواهم إلى الاسلام ، وجمعهم على دين واحد فى أمة واحدة . هذا الكتاب الذى لاريب فيه يجمع بين أعلى المكانتين الدينية والأدبية ، وهو دعامة الفترة التى نطق عليها العصر الاسلامى ، والعامل القوى فى إنشاء أدب ذلك العصر . ونحن فى دراستنا للأدب الاسلامى لا بد من أن ندرس القرآن الكريم ، وأول ما يلقانا فى هذه الدراسة هو اسم القرآن .

وإذا أردنا أن نعرف ما هذا الاسم وكيف أتى وأنى خلق ؟ وهل له اسم واحد ، أم له أسماء أخرى ؟ وما هى هذه الأسماء ؟ وما أصلها ؟ ـ نجد أن السيوطى نقل فى كتابه الاتقان عن أبى المعالى عزيزى بن عبد الملك صاحب كتاب البرهان : أن الله سمى القرآن بخمسة وخمسين اسماً ، فسماه : كتاباً ، ومبيناً

وقرآنا، وكريماً، وكلاماً، وهدى، ورحمة، وفرقاناً، وشفاء، وذكراً، وحكما ... ولن أعرضها جميعاً، ولكني سأخير بعض الأسماء الغريبة حتى أظهر لكم أن هذا العالم أتى بصفات القرآن وخواصه وقدسها على أنها أسماء له، وقد ذهب في هذا مذهب رجال اللغة الذين يقولون إن اللغة العربية بحر واسع غني بالكلمات، فمثلا هو يسميه حبلا، ويستدل على ذلك بقول الله تعالى: «واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا». وقد سماه بذلك لأن من تمسك به وصل إلى الجنة. وقال إن من أسمائه أيضاً أحسن الحديث ومثاني ومتشابهاً، وذلك في قوله تعالى: « الله نزل أحسن الحديث كتاباً متشابهاً مثاني » .. وفسر المثاني بأن فيه بيان قصص الأمم الماضية، فهو ثان لما تقدم، وقيل لتكرار القصص والمواعظ فيه، وقيل لأنه نزل مرة بالمعنى ومرة باللفظ؛ والمتشابه لأنه يشبه بعضه بعضاً في الحسن والصدق. وسماه الروح وقال: لأنه تحيا به القلوب والأنفس، واستدل بقول الله تعالى: « أوحينا إليك روحا من أمرنا ». وسماه وحياً من قوله تعالى: «إنما أنذركم بالوحي». وسماه بشرى وبلاغا لأنه أبلغ به الناس ما أمروا به ونهوا عنه. فمن هذا نرى أن صاحب البرهان أسرف كل الاسراف حين عدد هذه الصفات على أنها أسماء، فنحن إذا قلنا « القرآن الكريم » فليس لنا أن نقول إن الكريم اسم جديد للقرآن بل هو صفة لا أكثر ولا أقل، والمعقول أن يطلق على الشيء اسم واحد أو اثنان أو ثلاثة إذا أخذنا الأسماء التي وضعتها القبائل المختلفة له.

فاذا نحن تركنا رأي صاحب البرهان، ورأينا كاتباً آخر كالطبرسي قد اقتصر على أربعة أسماء للقرآن، فهو يقول: إن الله سمى كتابه القرآن، والفرقان، والكتاب، والذكر.

وعلينا الآن أن نبحث في كل اسم من هذه الأسماء من أين أتت؟ وما حكمة إطلاقها دون غيرها على هذا الكتاب المقدس؟

يقول السيوطى وتشترك معه دائرة المعارف البريطانية : إن العلماء المسلمين مختلفون فى لفظ وفى أصل وفى معنى كلمة القرآن ، فبعضهم يلفظ القرآن بدون همزة ويرى أنه اسم علم أطلق على كتاب الله الذى أنزل على محمد عليه الصلاة والسلام . مثله مثل التوراة والانجيل وبه قرأ ابن كثير وهو مروى عن الشافعى ، وبعضهم يقول ومنهم الأشعرى: إنه مشتق من قرنت الشىء بالشىء إذا ضممت أحدهما إلى الآخر ، وسمى كتاب الله قرآناً لضم السور والآيات والحروف فيه، ولو أنى أرى أن هذا تعليل ضعيف ، فكل كتاب تضم أبوابه وفصوله وحروفه بعضها إلى بعض ولكن لا يسمى كل كتاب قرآناً ، ويقول بعضهم القرآن مشتق من القرائن لأن الآيات فيه يصدق بعضها بعضاً ويشابه بعضها بعضاً ، فهذه الصفة ليست من الصفات التى يمتاز بها القرآن بل هى صفة طبيعية فيه ، لأنه لو لم يكن كذلك لكان مضطرباً متناقضاً ، ولا يوجد هذا فى الكتب العادية غالباً ، فكيف بكتاب الله الذى بهر العرب بأسلوبه وطريقته .

فلنبحث إذن عن أصل آخر له نصيب أكبر من المنطق السليم .

قال آخرون: إنه مهموز،وقال قوم منهم اللحيانى وابن عباس:هو مصدر لقرأت كالرجحان والغفران ، سمى به الكتاب المقروء من باب تسمية المفعول بالمصدر . ويقول الطبرى :إن يحيى بن عثمان بن صالح السهمى حدثنى ، قال حدثنا عبد الله ابن صالح، قال حدثنى معاوية بن صالح عن ابن أبى طلحة عن ابن عباس فى قوله تعالى : «فاذا قرأناه فاتبع قرآنه» يقول: إذا بيناه اعمل به . ومعنى قول ابن عباس : فاذا بيناه بالقراءة اعمل بما بيناه لك بالقراءة. ومما يوضح صحة ما قلنا فى تأويل حديث ابن عباس هذا ما حدثنى به محمد بن سعد ، قال حدثنى أبى قال حدثنى عمى قال حدثنى أبى عن أبيه عن عبد الله بن عباس « إن علينا جمعه وقرآنه » .قال : أن نقرئك فلا تنسى ، فاذا قرأناه عليك فاتبع قرآنه . يقول : إذا تلى عليك فاتبع

مافيه . قال أبو جعفر : فقد صرح هذا الخبر عن ابن عباس أن معنى القرآن عنده القراءة فانه مصدر من قول القائل قرأت على ما قد قلناه ، وقد أتى الطبرى بكل هذا الحديث ليبرهن على أن ابن عباس يرى أن القرآن مصدر من قرأت ، وأرى أن هذا الرأى فيه كثير من الوجاهة .

وهذا رأى آخر يقوله الأصفهانى فى كتابه المفردات: إن أهل اللغة يقولون: إن القرء بمعنى الجمع والقراءة ضم الحروف والكلمات بعضها إلى بعض فى الترتيل ، وليس يقال ذلك لكل جمع ، فلا يقال قرأت القوم إذا جمعتهم ، ولا يقال للحرف الواحد إذا تفوه به قراءة . ويقول الأصفهانى : إن بعض العلماء يسميه قرآناً من بين كتب الله لكونه جامعاً لثمرة كتبه ، بل لجمعه ثمرة جميع العلوم كما أشار إليه تعالى بقوله : « تبياناً لكل شىء » « قرآناً عربياً غير ذى عوج » .

وذهب هذا المذهب أيضاً الزجاج وقتادة ، فالسيوطى فى الاتقان يقول : إن الزجاج يقول القرآن وصف على فعلان مشتق من القرء بمعنى الجمع ، ومنه قرأت الماء فى الحوض أى جمعته . وجاء فى الطبرى أن قتادة فسر الآية : « إنا علينا جمعه وقرآنه » يقول : حفظه وتأليفه « فاذا قرأناه فاتبع قرآنه » يقول : اتبع حلاله واجتنب حرامه . فرأى قتادة إذن أن تأويل القرآن التأليف . قال أبو جعفر : ولكلا القولين ـ يعنى قول ابن عباس من أن القرآن مصدر من قرأ بمعنى تلا ، وقول قتادة من أن القرآن من القرء بمعنى الجمع والتأليف ـ وجه صحيح من كلام العرب ، غير أن أولى قوليهما بتأويل قول الله تعالى : « إن علينا جمعه وقرآنه ، فاذا قرأناه فاتبع قرآنه » قول ابن عباس ، لأن الله تعالى أمر نبيه فى غير آية من تنزيله اتباع ماأوحى إليه ، ولم يرخص له ترك شىء من أمره إلى وقت تأليفه القرآن له . ويقول أبو جعفر : إذا كان ذلك كما يقول قتادة لكان النبى صلى الله عليه وسلم غير مكلف بالعمل بقول الله تعالى : « اقرأ باسم ربك الذى خلق » ولا قوله تعالى : « يأيها

المدثر قم فأنذر » لأن الله تعالى لم يكن ألف إلى ذلك غيره من القرآن . ومن هنا فضل أبو جعفر رأى ابن عباس على رأى قتادة ، وهو على حق فى هذا . ورأى آخر يرويه السيوطى فى الاتقان عن قطرب : أنه إنما سمى قرآناً لأن القارىء يظهره ويبينه من فيه أخذاً من قول العرب: ماقرأت الناقة سلا قط،أى مارمت بولد،أى ما أسقطت ولداً، أى ما حملت قط . والقرآن يلفظه القارىء من فيه ويلقيه فسمى قرآناً . والسيوطى يرى أن رأى الشافعى هو أحسن الآراء ، وهو أن القرآن اسم علم غير مشتق، خاص بكلام الله .

هذه هى جميع الأقوال التي وردت فى لفظ القرآن . وأفضلها عندى رأى ابن عباس ، وقد يجوز أن يطلق على القرآن توراة وإنجيل ، جاء فى الاتقان: أخرج ابن الضريس وغيره عن كعب قال فى التوراة « ياأحمد إنى منزل عليك توراة حديثة تفتح أعينا عميا، وآذاناً صما، وقلوباً غلفا» وأخرج ابن أبى حاتم عن قتادة قال «لما أخذ موسى الألواح قال يارب إنى أجد فى الألواح أمة أناجيلهم فى قلوبهم فاجعلهم أمتى، قال تلك أمة أحمد». ففى هذين الأثرين تسمية القرآن توراة وإنجيلا ، ومع هذا لايجوز الآن أن يطلق عليه ذلك.ثم لفظة الفرقان وهى ثانى اسم أتى به الطبرى فى كتاب الله يقول الأصفهانى فى تفسير الفرقان : إنه يستعمل فى الفرق بين الحق والباطل ، ويقول إنه اسم لامصدر ، وقول الله تعالى : «يأيها الذين آمنوا إن تتقوا الله يجعل لكم فرقانا » أى نوراً وتوفيقاً على قلوبكم يفرق به بين الحق والباطل . وأما الطبرى فيقول : إن تفسير أهل التفسير جاء فى ذلك بألفاظ مختلفة هى فى المعانى مؤتلفة، فقال عكرمة فيما حدثنا به ابن حميد: إنه كان يقول هو النجاة. وكذلك كان السدى يتأوله . وكان ابن عباس يقول: الفرقان هو المخرج،حدثنى بذلك يحيى ابن عثمان بن صالح قال حدثنا عبد الله بن صالح عن معاوية بن صالح عن على بن

أبي طلحة عن ابن عباس ، وكذلك كان مجاهد يقول في تأويله: إن يوم الفرقان هو يوم فرق الله فيه بين الحق والباطل .

ويقول الطبري: إن كل هذه المعاني على اختلاف ألفاظها متقاربات في المعاني، وذلك أن من جعل له مخرج من أمر كان فيه فقد جعل له ذلك المخرج منه نجاة، وكذلك إذا نجى منه فقد نصر على من بغاه فيه سوءاً، وفرق بينه وبين باغيه بالسوء. ويقول الطبري: أصل الفرقان عندنا هو الفرق بين الشيئين والفصل بينهما. وقد تبين بذلك أن القرآن سمي فرقاناً لفصله بحجته وأدلته وحدوده وفرائضه وسائر معاني حكمه بين الحق والمبطل، وفرقانه بينهما بنصره الحق وتخذيله المبطل حكما وقضاء. وأما قوله تعالى : « إن كنتم آمنتم بالله وما أنزلنا على عبدنا يوم الفرقان » قيل أريد به يوم بدر ، فانه أول يوم فرق فيه بين الحق والباطل ؛ وقد أطلق الله كلمة الفرقان على التوراة والانجيل من قبل ، فقد قال الله تعالى : « وإذ آتينا موسى الكتاب والفرقان» وقال تعالى أيضاً : « ولقد آتينا موسى وهرون الفرقان » وقال جل شأنه : « شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان » .

أما الكتاب وهو الاسم الثالث للقرآن، ويرد هذا الاسم كثيراً في أول السور المبدوءة بالحروف مثل : « آلر تلك آيات الكتاب وقرآن مبين » و« طس تلك آيات القرآن وكتاب مبين » ولم يكن يقصد به سفراً كما هو الآن ، لأن القرآن عند ما أطلق عليه هذا اللفظ لم يكن قد كتب ودون بعد ، وإذن كان معنى الكتاب هُو هذه الآيات فقط التي تقرأ وتتلى . وفي مفردات الراغب الأصفهاني يقول في مادة كتب: هي ضم الحروف بعضها إلى بعض بالخط وقد يقال ذلك للمضموم بعضها إلى بعض باللفظ ، وإذا صح هذا التفسير اللغوي كان إطلاق كلمة كتاب على القرآن عند نزوله إطلاقا صحيحاً، إما لأنه يمكن أن يتلى وتضم عباراته وألفاظه بعضها إلى بعض، وإما لأنه في طريقه لأن يدون في صفحات وتجمع بعضها إلى بعض .

والذكر وهو آخر اسم أتى به الطبرى، وقد جاء فى قوله تعالى: « وإنه لذكر لك ولقومك » ويحتمل هذا الاسم معنيين، أحدهما : أنه ذكر من التذكرة ، يذكر الله به عباده،ويعرفهم فيه حدوده وفرائضه، ويذكرهم فيه باليوم الآخر وما فيه من نعيم وعذاب . والثانى أنه ذكر وشرف وفخر ورفعة لمن آمن به وصدق بما فيه كما قال جل ثناؤه « وإنه لذكر لك ولقومك » يعنى أنه شرف له ولقومه .

ونحن الآن أمام رأيين:رأى صاحب البرهان الذى عدد خمسة وخمسين اسماً للقرآن، ورأى الطبرى الذى قال: إن أسماء القرآن أربعة ـ أيهما أقرب إلى العقل؟ لا شك أن رأى الطبرى هو المعقول وهو الذى يؤخذ به ، ولو أن هناك بعض العلماء يعتقد أن للقرآن اسماً واحداً فقط هو القرآن كما هو الشأن مع التوراة والانجيل .

ولابد لنا قبل أن ننتهى من هذا البحث أن نعرض للفظ المصحف ، فهو اسم من أسماء القرآن أيضاً . حكى المظفرى فى تاريخه قال : لما جمع أبو بكر القرآن قال سموه. فقال بعضهم : سموه إنجيلا ، فكرهوه،وقال بعضهم: سموه السفر، فكرهوه، وقال بعضهم نسميه التوراة أو الانجيل، قال: هذه أسماء لكتب أخرى. فقال ابن مسعود : رأيت بالحبشة كتاباً يدعونه المصحف فسموه به ،لأن أبا بكر كان يميل إلى الحبشة .

بقى أن نقول : إن القرآن الكريم كان جديداً فى اسمه على العرب . وقال الجاحظ فى تفسير ذلك: سمى الله كتابه اسماً مخالفاً لما سمى العرب كلامهم على الجملة والتفصيل، فسمى جملته قرآناً كما سموا ديواناً ،وسمى بعضه سورة كما سموا قصيدة، وسمى بعضها آية كما سموا بيتاً ، وآخرها فاصلة كقافية .

وأخيراً هذا عرض سريع لما استطعت جمعه فى موضوع هذا البحث أستفيد منه وعساى أفيد .

عبد الوهاب عزام